يوم الحشر

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

دار ابن رجب طبع. نشر. توزيع

فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢
المنصورة : شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

يوم الحشر

الشيخ
محمد حسان

دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

العشــر

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

أحبتي في الله :

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : « **يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ** »[1].

ولقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه ..

(١) **صحيح:** رواه مسلم رقم (٢٨٧٨) ، في الجنة ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت .

وأول من يبعث ، وتنشق عنه الأرض يوم القيامة حبيب الرحمن محمد ﷺ، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أنه ﷺقال : « **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ** »[1].

وإذا كان المصطفى ﷺيوم القيامة أول من ينشق عنه القبر ، فإن أول من يُكسى

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١١٧٨) ، في الفضائل .

يوم القيامة خليل الرحمن أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

كما في صحيح مسلم من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا وَأَوَّلُ النَّاسِ يُكْسى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام »[1].

وفى رواية البيهقي من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال : « **أَوَّلُ النَّاسِ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ**

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٦٥٢٤) .

يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَيُؤتَى بِي فأُكْسَى حُلّةً مِنَ الجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهَا البَشَرُ » .

ولقد تكلم علماؤنا عن حكمة تقديم إبراهيم على نبينا محمد ﷺ في الكسوة يوم القيامة .

ومن أجمل ما ذكره أهل العلم أن المشركين لما هموا بحرق إبراهيم وأشعلوا نارًا متأججة وظلوا يجمعون لها الحطب شهورًا، وأيامًا حتى ارتفع لهيبها في عنان السماء فكانت الطيور تسقط من ارتفاع لهب هذه

النيران فلما هموا بإلقائه جردوه من ثيابه فلما صبر واحتسب وتوكل على الله جزاه الله سبحانه وتعالى عن ذلك فوقاه حر النار في الدنيا والآخرة ، وكافأه يوم القيامة فكساه على رؤوس الأشهاد .

فأول الناس يبعث هو حبيب الرحمن ، وأول الناس يُكسى هو خليل الرحمن وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأزكى السلام .

ترى ماذا يكون بعد البعث ؟! .. إنه

الحشر ، وهذا هو موضوع الحديث ، لذا أستحلفك بالله أخي الحبيب أن تعرني قلبك فإن الموضوع من الخطورة ، والرهبة ، والهيبة بمكان .

فسوف ينتظم حديثنا عن الموضوع في العناصر التالية :

أولًا : صفة أرض المحشر .

ثانيًا : كيف يحشر الناس ؟!

ثالثًا : هول الموقف .

رابعًا : في ظل عرشه .

أولا : صفة أرض المحشر

ترى كيف تكون هيئة أرض المحشر ؟!!

أتكون مثل أرض الحياة الدنيا ؟!

لا ريب أنها ستكون مختلفة تمامًا عن أرض الحياة الدنيا التي نعيش عليها . لم لا ؟! فإن الزمان غير الزمان .. فحتمًا يكون المكان غير المكان .. حيث قال رحمن الدنيا والآخرة : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨]

إذًا تتبدل أرض الدنيا وسماوات الدنيا .

فلقد وصف لنا المصطفى طبيعة الأرض التي سيحشر الناس عليها وصفًا دقيقًا بليغًا

ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ أنه ﷺ قال : « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عَلَم لأحدٍ** » .

وفى رواية إلى قوله : « **كَقُرْصَةِ النَّقِي** » ثم قال : قال سهل ، أو غيره : « **لَيْسَ فِيهَـا**

مُعَلَّمٌ لَأَحَدٍ »[1].

أرض عفراء : أي بيضاء ، والعفرة : البياض .

وعند ابن فارس البياض الشديد الناصع البياض . قرصةُ نقى أو كقرصةِ نقى ، أي كالدقيق النقي من الغش والنخال .

قال سهل : ليس فيها معلم لأحد ، المعلم ، هو العلامات التي يتعارف بها الناس على الشوارع ، والطرقات ، والمدن .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري (٢٧٩٠).

فهي أرض بيضاء مستوية كالفضة البيضاء لا يوجد عليها أشجار ، أو أنهار ، أو أبنية .

هذه هي صفة أرض المحشر كما أخبرنا الصادق المصدوق .

ولكن كيف يحشر الناس على هذه الأرض ؟!

ثانيًا : كيف يحشر الناس على هذه الأرض !!

يخرج الناس من القبور حفاةً عراةً غُرْلًا كما قال رسول الله ﷺ في صحيح مسلم من

حديث عائشة .

يحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غُرلًا قالت عائشة : يا رسول الله الرجال والنساء ينظرون بعضهم إلى بعض قال : « **يَا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ** »(١).

نعم والله يخرجون من القبور بهذا العرى والذل والهوان .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٦٥٢٧) في الرقاق ، ومسلم رقم (٢٨٥٩) في الجنة .

قال تعالى : ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ [ق:٤١-٤٢]

نعم والله إنه يسير على الله أن يحشرهم جميعًا من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا يتخلف أحد ولا يمتنع .... كيف ذلك ؟

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ

أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف :٤٧- ٤٨]

حشر الله الخلق جميعًا ولا يتخلف مَلِك ، ولا متكبر ، ولا حاكم ، ولا زعيم ، ولا طاغية ، فلم نغادر منهم أحدًا .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم: ٩٣-٩٦]

هكذا كل يأتي الرحمن فلا يتخلف مخلوق فلقد أحصى الله الخلق من لدن آدم إلى آخر رجل قامت عليه القيامة ، فهم ينطلقون جميعًا وراء هذا الداعي الكريم الذي جاء ليقود الخلق جميعًا إلى المحشر ، انطلقوا من خلفه ولا يلتفتون ، ولا يتخلفون صامتين مستسلمين خاشعين .. يعلوهم صمت

رهيب يزلزل قلوبهم سكون غامر يغمر المكان كله بالعظمة والهيبة والإجلال .

قال سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾

[طه : ١٠٨ - ١١١]

الكلام يومئذ همس !! والسؤال يومئذ لصاحب الأمر ؟!!

وهل يستطيع مخلوق أن يتفلت أو يتخلف ؟!

وهل يملك طاغية أن يتغيب ، أو يتأخر ، وقد وكل الله بكل إنسان ملكين يسوقانه سوقًا إلى أرض المحشر .

قال تعالى : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا

عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ١٩ - ٢٢]

ها هو رسول الله ﷺ يجسد لنا معاني هذه الآيات - عن مشهد الحشر يخلع القلوب ويأخذ بالألباب - فيقول كما في الحديث الذي رواه الترمذي بسند حسن يقول : « **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ ، صِنْفٌ مُشَاةٌ ، وَصِنْفٌ رُكْبَانٌ ، وَصِنْفٌ عَلَى وُجُوهِهِمْ** »(١).

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذي رقم (٣١٤١) وصححه شيخنا الألباني في المشكاة (٥٥٤٦) .

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أنس قال رجل : يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه ؟! فقال المصطفى ﷺ : « **أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رِجْلَيْنِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » .

قال قتادة : بلى وعزة ربنا [1].

ونحن نقول بلى وعزة ربنا إنه لقادر أن يحشر الكافرين يوم القيامة على وجوههم .

---

(١) **متفق عليه** : رواه البخاري رقم (٤٧٦٠) في التفسير ، ومسلم (٢٨٠٦) في صفات المنافقين .

أيها الحبيب : هل تصورت قبل أن ترى الحية أن دابة تمشي على بطنها؟! إن الذي جعل الحية تمشى بدون أرجل سيحشر الكافر وهو يمشي على وجهه يوم القيامة ، إنه على كل شيء قدير .

أناس يمشون على الأقدام وأناس يركبون ، من هـؤلاء الذين يركـبون في هـذا اليوم العصيب ؟!

اسمع لربك جَلَّ وَعَلَا ... **قال سبحانه** :

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥]

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾
[فصلت: ٣٠]

ويقدم الملائكة لأهل التقى ركائب من دواب الآخرة عليها سُرُج من ذهب فيركب المتقون ، وينطلقون بها في أرض المحشر حتى لا يمشون على أقدامهم في

هذا اليوم العصيب .. وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟! .

والتقوى هي أن يطاع الله فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .

وسئل أبو هـريرة عن التقوى فقال: هل مشيت على طريق فيه شوك ؟ قال : نعم ، قال : فماذا صنعت إذا رأيت الشوك ؟ قال : اتقيته ، قال أبو هريرة : ذاك التقوى .

وقال ابن المعتز :

خَلِّـى الذُّنُوبَ صَـغِيرَهَـا
وَكَبِيـرَهَـا فَهُـوَ التقَـى
وَاصْنَـعْ كَمَـاشٍ فَـوْقَ
أَرْضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
وَلَا تَحْقِـرَنَّ صَغِيـرَةً
إِنَّ الجِبَـالَ مِـنَ الحَصَـى

قال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخشى

عقاب الله . ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٦]

فالتقي يحشر راكبًا ، والعَصِيّ يحشر واردًا ، أما المتكبرون الذين انتشوا وانتفخوا في الدنيا ولم يذلوا أنفسهم لله ، ولم يخفضوا جناح الذل لخلق الله بل تراه مغرورًا بكرسيه الذي جلس عليه ، وتراه مغرورًا بمنصبه وتراه متكبرًا بماله ، وتراه متكبرًا بسلطانه وجاهه .

فهذا والله الذي لا إله غيره سيحشر بمنظر وهيئة لو علمها لوضع أنفه في التراب ذلا لمولاه ، ولخفض جناح الذل لخلق الله .

يَا ابْـنَ التُّـرَابِ وَمَـأْكُـولُ الـتُّرَابِ
غَدًا أَقْصِرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبُ

علام الكبرياء يا ابن آدم ؟ وأنت تحمل البصاق في فمك !! وتحمل العرق تحت إبطيك !! وتحمل البول في مثانتك !! وتحمل النجاسة في أمعائك !! وتمسح عن نفسك بيدك العذرة كل يوم مرة أو مرتين !!!

يا أيها الإنسان ما غرك !!

مر أحد السلف على رجلٍ متبخترٍ مختالٍ في مشيته فقال له هذا الرجل الصالح : يا ابن أخي هذه مشية يبغضها الله ورسوله .

فقال له المتكبر : ألا تعرف من أنا ؟!!.

من أنت أيها المغرور ؟! تصور معي مشهد حشر المتكبر يوم القيامة .

أخرج الترمذي عن رسول الله ﷺ« **يُحْشَرُ المُتكَبِّرُونَ يَومَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرَ**

الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَان »[1].

يحشر المتكبرون يوم القيامة كذر تدوسه الأقدام والأرجل لأنه كان منتفخًا منتشيًا متكبرًا مغرورًا في الدنيا .. والجزاء من جنس العمل .

فكما انتفخ واستعلى في الحياة الدنيا يحشر يوم القيـامة في غاية الذلة والمهـانة تطأه الأرجل والأقدام .

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذي رقم (٢٤٩٤) في صفة القيامة ، وهو في صحيح الجامع برقم (٨٠٤٠) .

فإذا ما وصلت الخلائق كلها إلى أرض المحشر تنزلت الملائكة ضعف عدد من في الأرض .. تحيط الملائكة بأهل الأرض من كل جانب .

إن الموقف فيه من الأهوال والكروب ما يخلع القلوب وهذا هو عنصرنا الثالث

ثالثا : هول الموقف

إذا ما وصل الناس إلى أرض المحشر ازداد الهم والكرب والغم ... ولم لا !!

وقد وقفوا قيامًا طويلًا .. طويلًا !!

وها هي الشمس تدنو من الرؤوس .

ففي صحيح مسلم من حديث المقداد أنه ﷺ قال : « **تُدْنى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ مِقْدَارَ مِيلٍ** » قال الراوي : فوالله ما أدري ما يعني بالميل : أمسافة الأرض ، أو الميل الذي تكحل به العين ؟! قال : « **فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى**

كَعْبَيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمهُ العَرَقُ إِلجَامًا » وأشار ﷺ بيده إلى فيه »(١).

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر أنه ﷺ قال في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المطففين: ٦] قال المصطفى ﷺ: « يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ »(٢).

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٦٤) في صفة الجنة .
(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٦٥٣١) في الرقاق ، ومسلم (٢٨٦٢) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها .

هل تصورت هذا المشهد ؟ حرارة تذيب الحديد والحجارة فوق الرؤوس ولك أن تتصور البشرية كلها تحشر في مكان واحد على أرض واحدة . زحام يخنق الأنفاس !!

وفى هذا المشهد والموقف الرهيب يزداد الهم والكرب بإتيان جهنم .

إيه والله ... يؤتى بجهنم في أرض المحشر كما قال المصطفى ﷺ والحديث رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله : « يُؤتى

بِالنَّارِ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، وَمَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا »[1].

فإذا أقبلت جهنم ، وأحاطت بالخلائق ، ورأت الخلق زفرت ، وزمجرت غضبًا منها لغضب الله جَلَّ وَعَلَا .. عند ذلك تجثو جميع الأمم على الركب من الخوف والذلة .

قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٨]

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٤٢) في صفة الجنة .

وليس ذلك فقط بل يحدث ما تشيب منه الرؤوس وتنخلع له القلوب !!

اسمع إلى هذا الحديث الذي رواه الترمذي بسند صحيح قال رسول الله ﷺ :

« **يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ لَهُ عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ يَقُولُ : إِنِّي وَكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ ، لمنْ جَعَلَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ ،**

وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِالمصَوِّرِينَ »(١).

ويسجل القرآن جزاء كل جبار عنيد فيقول ﷻ : ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم : ١٥-١٧]

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥٧٧) في صفة جهنم ، وهو في صحيح الجامع برقم (٨٠٥١) .

في هذا المشهد في الحر الشديد ، والزحام الرهيب !!

وفي هذا التدافع في هذا الموقف الذي ترتعد منه الفرائص وتشيب له الرؤوس ، ويهتز له الوجدان فإن الأنبياء حينما يرون هول هذا الموقف لا يملكون إلا أن يقولوا : اللهم سلم .. سلم ... !!

هذه دعوتهم يومها ، والكلام مقتصر عليهم دون غيرهم !!

يومها تذهل كل مرضعة عن رضيعها ، وتضع كل ذات حمل حملها وينتاب الناس الهلع ، والرعب حتى تظنهم سكارى ، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

يومئذ يفر المرء من أبيه ، وأمه ، وأخيه ، وصاحبته ، وينسى الابن أبويه اللذان برهما في دنياه وألان لهما الجانب وأطاعهما في غير معصية لله !! يومها يفر الأخ من أخيه ولا تعد هناك روابط نسبية !!

ويومها تفر الزوجة من زوجها الذي أعطى لها كل عطفٍ وحنانٍ ورعايةٍ وصحبة جميلة حسنة !!

يومها ترمي الأم الحنون بطفلها في غير وعى فلا أمومة في هذا الموقف الرهيب المخيف ، الكل يقول نفسي ... نفسي ... ! حتى الأنبياء !

الكل له شأن يلهيه ، استمع لقول مولاك ﷻ ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾

لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٣-٣٧]

ولله در القائل:

مَثِّـــلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَـا المَغْـــرُورُ
يَــومَ القِيَـــامَةِ وَالسَّـمَاءُ تَمُــورُ
إِذَا كُــوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وأُدْنِيَـت
حَتَّـــى عَـــلَى رَأْسِ العِبَـادِ تَسِيـرُ
وَإِذَا النُّجُــومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَـــاثَرَتْ
وَتَبَدَّلَـتْ بَعْـدَ الضِّيَــاءِ كُـــدُورُ
وَإِذَا الجِبَـــالُ تَقَلَّعَـتْ بِأُصُـولِهَـــا
فَرَأَيْتَهَـــا مِثْــلَ السَّـحَابِ تَسِيـــرُ

وَإِذَا العِشَـارُ تَعَطَّلَتْ وَتَخَـرَّبَـتْ
خِلْـــتَ الدِّيَـار فَمَـا بِهَـا مَعْمُـورُ
وَإِذَا الوحُوشُ لَدَى القِيَامَةِ أُحْشِرَتْ
وَتَقُــــولُ لِلأَفْـلاكِ أَيْـنَ نَسِـيرُ
وَإِذَا الجَلِيـلُ طَـوَى السَّمَاءَ بِيَمِينِـهِ
طَـــيَّ السِّجِـلِ كِتَـابَهُ المَنْشُـــورُ
وَإِذَا الصَّحَائِفُ نُشِـرَتْ وَتَطَايَرَتْ
وَتَهَتَّكَـــــتْ لِلعَـالَمِـــينَ سُـــتُورُ
وإذا الجَنِيـنُ بِأُمِّــهِ مُتَعَلِّــقٌ يَخْشَى
القِصَـــــاصَ وَقَلْبُــهُ مَذْعُــورُ

هَـذَا بِـلَا ذَنْبٍ يَخَـافُ جِنَـايَةً
كَيْفَ المُصِرُّ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ
وَإِذَا الجَحِيمُ تَسَعَّرَتْ نِيرَانُهَا
وَلَهَا عَلَى أَهْلِ الذُّنُوبِ زَفِيرُ
وَإِذَا الجِنَانُ تَزَخْرَفَتْ وَتَطَيبتْ
لَفَتىً عَلَى طُولِ البَلاءِ صَبُورُ

تذكر كل هذه المشاهد .. الزحام شديد يكاد يخنق الأنفاس والشمس يكاد تصهر الرؤوس والكل يتدافع .. السؤال همس .. والكلام تخافت وجلال الحي القيوم عمر

المكان بالهيبة .

في هذه اللحظات ينادى الحق جل جلاله على مجموعة من الخلق في أرض المحشر أن يتقدموا ليظلهم بظله يوم لا ظل إلا ظله . من هؤلاء يا ترى ؟!! .

رابعًا : في ظل عرشه

إن مجرد الكلام عن أهوال هذا اليوم ترتعد له الفرائص فكيف إذا عايناه وعاصرناه وعايشناه على أرض الواقع لا

أرض الخيال ؟!!

في هذا الموقف ينادي الحق جَلَّ جَلَاله على أناسٍ ليظلهم بظلِّهِ يوم لا ظل إلا ظله ، يا ترى من هؤلاء السعداء ؟!

في صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة : قال المصطفى ﷺ : « **سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَاب نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله**

اجْتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَات مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ »(١).

« إِمَامٌ عَادِلٌ » : أي حاكم عادل عاش ليقيم العدل في الأرض ، سعدت به رعيته ،

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٢/ ١١٩) في الجماعة ، ومسلم رقم (١٠٣١) في الزكاة .

وسعد هو برعيته ، وكان يتقى الله في هذه الأمانة ، يعلم يقينًا أن الحكم والمنصب أمانة سيسأل عنها بين يدي الله كما قال المصطفى ﷺ لأبى ذر : « **إِنَّ الوِلَايَةَ أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا** » .

ترى ما جزاء هذا الحاكم؟! أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله .

« **شَاب نَشَأَ في عِبَادَةِ الله** »

أخي في الله : إذا نشأت في عبادة الله ، وانصرفت عن معصية الله وإن زلت قدمك في معصيته تبت إلى الله جَلَّ وَعَلَا ، أظلك الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

أيها الشاب الفتى .. **أيها** الشاب الذكي **أيها** الشاب الذي أسرفت على نفسك أرجو من الله ﷻ أن لا تتأخر لحظة عن التوبة وطاعة الله لأن الطاعة عِز ، الطاعة شرف .. فلا عز في الدنيا والآخرة إِلَّا

بطاعة الله .

ولماذا خص الشاب ؟!!

لأن الشاب تجـري دمـاء الشهوة في عروقه ، لأنه - لا سيما في سن المراهقة وسن الفتوة - تعصف الشهوة بكيانه عصفًا ، ولكن بخوفه من الله ومراقبته لله يعصم نفسه ويحارب شهواته ويحارب نفسه الأمارة بالسوء .

لذا كافأ الله هذا الشاب الطائع ، التقي ،

النقي ، الطاهر الذي نشأ منذ نعومة أظافره يعبد الله ، ويطيع الله ويحفظ حقوق الله ، ويمتثل أوامره ، ويجتنب نواهيه ويقيم حدوده ، فيظله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

« **وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ** » معنى ذلك أن قلبه في المسجد ، فإذا صَلَّى الفرض ، وخرج إلى الدنيا يسعى على رزقه من الحلال ، أو عاد إلى بيته وأولاده يخرج من

المسجد ، وقلبه مشتاق أن يرجع إلى المسجد مرة أخرى فهو متعلق بالمسجد يهوى الجلوس في بيت الله بل يتمنى أن لو ييسر الله له الوقت ؛ ليقضي جُله في بيت الله جَلَّ وَعَلَا .

يا من تقضي وقتك أمام المسلسلات والمباريات والأفلام !! لماذا لا تحرص على أن تقضى هذا الوقت في بيت الله جَلَّ وَعَلَا ؟!

فإذا تعلق قلبك به أظلك الله في عرشه يوم لا ظل إلاَّ ظله .

« **وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ** » .

إنه الحب في الله « **إِنَّ مِنْ أَحَبَّ لله ، وَأَبْغَضَ لله ، وَأَعْطَى لله ، وَمَنَعَ لله ، فَقَد اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ** »[1] وإن آصرة الحب في الله هي أغلى آصرة .. وأن رابطة الحب في الله هي أغلى رابطة .. ألا وإن « **أَوْثَقَ عُرَى**

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود رقم (٤٦٨١) في السنة ، وهو في صحيح الجامع (٥٩٦٥) .

الإيمانِ ، الحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ »

يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي وهو في الصحيحين : « أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالي ؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي »(١).

« وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَات مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ » أي : للزنا . تذكر

(١) صحيح : رواه مسلم رقم (٢٥٦٦) في البر والصلة ، باب في فضل الحب في الله .

الله جَلَّ وَعَلَا وراقبه وأعرض عن هذه الكبيرة خوفًا من الله جَلَّ وَعَلَا .

« **وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ** » : خلى بنفسه ، وقام من الليل ، وجلس يصلي أو يذكر الله سبحانه وتعالى فلما امتلأ قلبه بهيبة الله وبعظمة الله ، فاضت عيناه بالدموع خوفا منه وهيبة له سبحانه .

قال رسول الله ﷺ: « **عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ** »[1].

وهناك غير هؤلاء السبعة من الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة .

ولقد جمع الحافظ ابن حجر في كتاب مستقل هؤلاء الذين يظلهم الله في ظله غير

(١) **صحيح** : رواه الترمذي رقم (١٦٣٩) ، وهو في صحيح الجامع رقم (٤١١٢) .

هؤلاء السبعة في كتاب قيم سماه - معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال - وبين أن الله سبحانه يظل غير هؤلاء السبعة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ففي الحديث الصحيح أنه ﷺ قال : « **مَنْ أَنْظَرَ - أمهل - مُعْسِرًا أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ** »[1].

أيها الحبيب الكريم: احرص على طاعة الله

(١) **صحيح** : رواه الترمذي (١٣٠٦) في البيوع ، وصححه شيخنا الألباني في صحيح الترغيب (٩٠٠)

وعلى هذه الخصال من خصال الخير ليظلك الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

وحينئذ يقوم بقية الخلق في هذا الموقف قيامًا طويلًا طويلًا ، ويشتد الكرب عليهم حتى يتمنى بعضهم أن يحشر إلى النار ولا يقف في مثل هذا الموقف المهيب الرهيب ظانا أن النار لن تكون أشد عذابًا مما هو فيه من هم وكرب .

وهنا يبحث الخلق عمن يشفع لهم إلى الله

جَلَّ وَعَلَا ليقضي الله تبارك وتعالى بين الخلائق لينتهي هذا الموقف المهيب الرهيب ، وهنا يقول كل نبي من الأنبياء نفسي .. نفسي .

ويتقدم الحبيب المصطفى ﷺ صاحب المقام المحمود وصاحب الحوض المورود ، وصاحب اللواء المعقود ، وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين يتقدم ليشفع للخلائق في أرض المحشر ليقضي الله جَلَّ وَعَلَا بينهم

ونتوقف عند هذا المشهد الكريم عند مشهد شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف جميعًا لنعيش مع هذا الموقف . لنتعرف عليه لاحقًا إن قدر الله لنا البقاء واللقاء .

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه ولى ذلك والقادر عليه .

اللهم استرنا ولا تفضحنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وكن لنا ولا تكن علينا ، اللهم لا تدع لأحد منا في هذا المقام الكريم ذنبًا إِلَّا

غفرته ولا مريضًا إِلَّا شفيته ولا دينًا إِلَّا قضيته ، ولا همًّا إِلَّا فَرَّجْته ، ولاميتًا إِلَّا رحمته ، ولا عاصيًا إِلَّا هديته ، ولا طائعًا إلا سددته ، ولا حاجة هي لك رضًا ولنا فيها صلاح إِلَّا قضيتها يا رب العالمين .

اللهم اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا ، وتفرقنَا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيا أو محرومًا .

اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببا لمن

اهتدى .

اللهم إن أردت بالناس فتنة فاقبضنا إليك غير خزايا ولا مفتونين ولا مغيرين ولا مبدلين برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم ارحمِ المسلمين الحفاة واكسو المسلمين العراة وأطعم المسلمين الجياع .

اللهم لا تحرم مصر من الأمن والأمان .

اللهم لا تحرم مصر من التوحيد والموحدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

أحبتي في الله ..

هذا وما كان من توفيق فمن الله ، وما كان من خطأ أو سهو أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه براء ، وأعوذ بالله أن أكون جسرا تعبرون عليه إلى الجنة ويُلقى به في جهنم ، ثم أعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه .

وصلِّ اللهم وسلم وزد وبارك على محمد ﷺ.